

الصدقة، ما هو سرّها؟

١٢ تموز ٢٠١٣



معلوم ان الصداقة تمثل إحدى أهم وأرقى نماذج العلاقات الانسانية وأشدّها دفناً. يقول ابن المقفع (أحد المفكرين العرب) في الاصدقاء: "إعلم أن إخوان الصدق هم خير مكاسب الدنيا، هم زينة في الرخاء وعدة في الشقاء".

ويقول أرسطو في الصداقة: "متى أحب الناس بعضهم البعض لم تعد من حاجة الي العدالة، غير أنهم مهمل عدلوا فلا غنى لهم عن الصداقة، وإنّ أعدل ما وُجد في الدنيا بلا جدال هو العدل الذي يُستمد من العطف والمحبة".

أما موسوعة علوم الايزوتيريك فتذكر في هذا الصدد أنه عندما يمارس المرء في تعاطيه مع صديقه ما ينجح في ممارسته على نفسه، فهذا حقاً بؤادر تفعيل كل من العدل والحكمة في النفس على المستوى الاجتماعي - الانساني، الذي يلي المستوى الفردي لكن من دون الوقوع في المثالية والتنظير.

ويضيف الايزوتيريك أن هدف التواصل في علاقة الصداقة هو تنشيط طاقة المحبة أثناء التعاطي مع الآخر، وهذا أحد أهم عمق للصداقة. فعبر تنشيط المحبة يتم ايقاظ الارادة من خلال خلق حاجة السعي الي وعي أبعده وأشمل لذلك التواصل ولكن هذه المرة بأداة الفكر، ثم تحويل كل من المحبة والارادة الي طاقة ارادية يحركها ويتوسع فيها التطبيق العملي اليومي في حياتنا.

ميزة اخرى للصداقة أنها تعزز الانفتاح، وتنبّه المرء الي الفوارق بينه وبين الآخرين مما يدفعه الي تقييم نفسه وتقويمها وبالتالي تقويم علاقته بالآخرين. ويشرح الايزوتيريك أن التفاعل من خلال التواصل بين المرأة والرجل (السالب والموجب) يتم على نطاق الصفات الناقصة في كل قطب منهما، في حين أن التفاعل بين المرأة والمرأة أو بين الرجل والرجل، يتم على مستويات الصفات القائمة، وكأنه عبارة عن مقارنة ذاتية للفرد داخل تفاصيل صفاته التي تم اكتسابها. هذا وكل تفاعل هو صقل للنفس في صفاتها الفاعلة، مرة بالتكامل والاضافة الي هذه الصفات، ومرة بالمقارنة وتشذيب الصفات القائمة والمكتسبة على حد سواء.

الجدير ذكره هنا ان مصادقة شخص ما لمجردّ اللهو والمرح وتضييع الوقت يعني إبقاء هذه "الصداقة" وطرفيها خارج دائرة التفاعل وبالتالي خارج مسار التطور.

فالصداقة الحقة هي تقارب ذبذبي، أي تقارب مشاعري - فكري بين شخصين تجمعهما درب واحدة ويوحدهما هدف مشترك. ومن خلال الصداقة الوثيقة تنمو مقدرات الشخص على ادراك أفكار ومشاعر الآخرين مما يساعده على ادراك وتنمية الشعور الانساني ضمناً. كما وتساعد الصداقة الانسيان في التعبير عن نفسه من خلال الافصاح عن افكاره ومشاعره واحلامه، كما وانها (الصداقة) تساهم ببناء علاقة تتسم بالثقة المتبادلة... لكن هل هناك ثقة متبادلة من دون صدق؟

للاجابة نورد ما جاء في "لسان العرب" بأن أصل كلمة صداقة من "صدّق"، أي نقيض الكذب، وأيضاً من "الصدّق"، ومن خلال هذا يكون الصديق صادقاً اذا تحدّث وصدّقاً (أي صلباً جاداً) إذا عمل. تعريف آخر لكلمة "الصداقة" بالتحديد جاء في كتاب "الفروق في اللغة" مفاده أن الصداقة تعني "اتفاق الضمائر على المودّة".

وكما المحبة توظف الشفافية في النفس، والشفافية توظف المصداقية في الفكر، وبما أن الصدق أساس الصداقة، يتبين لنا بأن التقارب الفكري هو أحد الدعائم الأساسية لبناء صرح صداقة تدوم أبداً.

استنتاجاً مما تقدّم، نستطيع أن ندرج الصداقة في شقين: الأوّل تولده المصلحة وتدفعه الحاجة، والثاني يولده الصدق ويدفعه الوعي. هذان الشقان يختلفان اختلافاً جذرياً من حيث الشكل والمضمون، بحيث يغلب على الأول الجانب المادي والميول الارضية، في حين يأتي الشق الثاني كشعور راق توجهه المحبة ويدفعه النبيل الانساني في أسمى أفعاله ومعانيه...

فالصديق، على سبيل المثال، الذي يشعر بالمسؤولية حيال مساعدة صديقه، فإن شعوره هذا ينطوي على لذة داخلية عميقة تؤدي الى شعور مضاعف من الرضى الذاتي في أي عمل يقوم به حيال مساعدة صديقه. والشعور عينه تولده أيضاً المسؤولية حيال أي عمل يقوم به الانسان شغفاً به وليس بدافع الواجب فحسب.

كما وتوحيد النظرة في المفاهيم بين صديقين يعزز الارتفاع فوق التفاصيل الصغيرة من منطلق احتوائها وتجاوزها وليس لتجاهلها كما هو حال الشخص المنغلق التفكير أو الانطوائي النزعة. ذلك أن كل رفض يحفر نفسه في باطن المرء كرفض عميق للحركة - للحياة في كيانه. ورفض الحركة جمود وتقهر واعوجاج عن المسار الحياتي السليم.

هذا والتصادق بين أبعاد النفس الواحدة (جسد، مشاعر، فكر) هو توافق في المفاهيم إن لجهة حاجات النفس في أبعادها المختلفة، وإن لجهة متطلبات الوعي في التواصل والمواجهة وتحقيق الصداقة المتجددة ليس مع الصديق فحسب بل تجاه الحياة وتجاه ذواتنا، وسعيّاً نحو تفتيح وتفعيل المحبة كفعل عطاء في حياتنا اليومية...

بين المحبة والصداقة، تمتد الصداقة كضرورة وحاجة في بعد الارض، وتمتد المحبة كحقيقة في الكون... إلى أن تعي الصداقة سرّها الأكبر، وهو جذورها الكامنة في حقيقة المحبة... المحبة الفاعلة في ارادة صاحبها.

فإذا كانت الصداقة كلمة، فالمحبة كتاب...

وإذا كانت الصداقة ذراع يحتضن، فالمحبة فيض نور يغمر أرجاء الكيان...

الصداقة تواصل وتفاعل ومحبة تطبيقية... والمحبة عطاء وتضحية وشمولية...

الصداقة شعاع، والمحبة شمس...

الصداقة إخلاص والمحبة وفاء...

المحبة نور والصداقة ضياء...

الصداقة أرض والمحبة سماء...

وختاماً... الصداقة رؤية للانسان في البشر...

والمحبة رؤيا للاله في الانسان...

بقلم: المهندسة ندى شحاده معوض
المرجع: www.esoteric-lebanon.org